

ألكسندر كلوجه

السيرك / التعليق

"نحن الفنانين نمح حياتنا لشيء يستحق الموت من أجله..".

دار نشر زوركامب،

برلين 2021

.1

الفيروس بوصفه فناً متحوّلاً

ص 13

.2

وعند الحدود ضجّت الحيوانات /
وانطفأت الأضواء في خيمة السيرك

ص 41

.3

العمل / التمكن! السيرك / الفن

ص 61

.4

نشأة طريقة بناء الناطحات في نيويورك من روح حدائق التسلية

ص 93

.5

التطلع إلى "البرية الحقيقية"

ص 107

.6

حيوانات في معركة القنابل

ص 129

.7

أنقذ الأحب إليه؛ ما يمتلكه، وفي الوقت نفسه مؤخره من اثني عشر فيلاً

ص 143

شكل 1

شكل 2

شكل 3: أيل يقفز على مجموعة من الصيادين و عبر سوط المروّض الذي يُمسك به مثل طوق.

شكل 4

"نحن الفنانين، على طاولة الشغل، وفي مراكز العلم، وفي شؤون الحب، وفي طرق الحياة، وفي السياسة، أبناء لمجتمع الأداء والإنجاز.

لا نعيش من أجل ميراث، ولا من حقل، ولا من أجل غارات بالسيف، وإنما بأن نجمع كل قوانا الخاصة معًا. فنحن بناء مستقبلنا. وتحت قبة السيرك نتدرب بوصفنا جمهوريون من العامة والدهماء، وأن جمهوريتنا هذه تتمتع بصفات نادرة..".

شكل 5: زفاف كاثوليكي في قفص الأسود.

شكل 6

شكل 7

شكل 8

.1

الفيروس بوصفه فنائاً متحوّلاً

شكل 10/9: فيروسات تحت المجهر.

الفيروس بوصفه فنّاناً متحوّلاً

تحت السماء الزرقاء لشهر إبريل 2020، تلك التي تنتشر أشعتها فوق البنفسجية بشكل كثيف، لم يكن هناك أي سيرك؛ لقد أُغيت كل العروض. ولأن غالبية أطفال اليوم لا يعرفون شيئاً عن عروض سيرك محددة لم يُسمع بوجود حزن عميق لديهم بسبب هذا الإلغاء. معظم الأطفال لم يعودوا يعرفون شيئاً عن عروض السيرك.

هذا الفيروس (كوفيد - 19) يعود لسلسلة أجيال من شذرات حمض نووي ريبي (RNA)، وخط أسلافه يعود في الزمن إلى ما قبل 3.5 مليار سنة. وكانت الأجيال المبكرة منه توجد بالضبط عند المفترق بين ما هو حي وما هو ميت - نصف "هاردوير" ونصف "سوفت وير". وقد ظل هذا هو الحال من حيث المبدأ.

أما فارتسات السيرك فتتنمي لسلسلة من الأجيال أيضاً؛ حيث تتوالى عائلتهن بعد بعضها البعض - وجميعهن يتدربن منذ طفولتهن على حلبة السيرك التي لا تزيد مساحتها على ثلاثة عشر متراً مربعاً. وبالطبع لا مقارنة بينهن وبين حشد المجسمات الأفلاطونية المتكاثرة بشدة والتي نسميها بالفيروسات. والذكاء التطوري لهذه الفيروسات يختلف تماماً أو يكاد عن ذكاءنا البشري. وعلى النقيض من العمر الموهول لسلاستها فإنها لم تتطور قط إلى كيانات بحجم الفيل رغم أن كتلتها الحيوية كافية لذلك. وهي تغير تكوينها وخصائصها باستمرار عن طريق الخطأ في نسخ جيناتها. وهذه القدرة على التحول أو التحور هي السبب في أن مانفريد أيجن (Manfred Eigen) أطلق عليها مسمى "شبيهة الأنواع". فهي لا تشكل نوعاً محدداً وإنما تتغير. فهي فنانات في فن التحول والتحور: سريعة، صلبة، منتشرة، ولا تتبع الترتيب "الألفبائي". وهذه الفيروسات لم تكن قط أكبر حجماً مما هي عليه، وهي في حالتها المراوغة هذه غير قابلة للانزهاام. زد على ذلك كله أنها تتصرف وكأنها "ممثل للتطور".

جنوح سيركي أثناء فترة الحجر

تعرضت منطقة غرب ألمانيا؛ حيث يوجد مصنع كبير لمعالجة اللحوم، لانتقادات من قبل مكتب التفتيش الإداري؛ وذلك لأن التلوث بالفيروس انتشر من هناك. وقد تم توبيخ تلك المنطقة من قبل برلمان الولاية ومن قبل الوزارة المسؤولة أيضاً. وأنداك كان يوجد سيرك بحاجة ماسة لتقديم عروض كي يتيسر له تغذية حيواناته.

ولكن عندما طلب مُلاك السيرك الإذن بتقديم برنامج عروض على أحد المراعي الخضراء، ردّ عليهم رئيس البلدية بفظاظة قائلاً: "لن نسمح لطاعون متجوّل باقتحام المدينة". وهنا اقترح السيرك أن يختصر برنامج العروض، وألا يسمح في كل مرة إلا لعدد قليل من المتفرجين، مع ضمان الحفاظ على مسافة المترين بين مقاعدهم، والزام الجميع بالقناع حتى فناني السيرك. وأذاك ابتكر المهرجون لأنفسهم أقنعة تنكرية خاصة لو مزق أحدها سيظهر تحته قناع جديد، وهو ما كان سيتكرر لمرات تصل إلى ثلاث عشرة مرة.

ولكن مكتب الصحة بالمدينة أثبت أن العجيج الذي ستثيره الحيوانات والفنانين سيتسبب في زيادة خطر الهباء والجسيمات في الجو فوق الجمهور الذي سيكون موجوداً. ولهذا استبعد المكتب الموافقة على أي عرض للسيرك. وإبان ذلك سُمح بالعروض السينمائية في هذه الولاية الفيدرالية، ولكن لم يكن لدى السيرك نفس جماعة الضغط. كما لم يكن لديه الأموال اللازمة لدفع أتعاب محامٍ يرفع القضية أمام المحكمة الإدارية، وهذا بالطبع بسبب عدم المساواة في المعاملة. وفي الأونة الأخيرة رفض المكتب أيضاً تنظيم سيرك الأشباح (بدون متفرجين).

"في الأوقات الخطيرة لسنا بحاجة للمزاح"

وقد احتج مدير السيرك على هذا التعبير لرئيس البلدية. ومرة أخرى فشل الدفاع الفعال لأجل قضية قانون مدني بسبب نقص أتعاب المحاماة.

وإبان هذا الخلاف مع سلطة الحظر خسر السيرك العائلي آخر احتياطاته. وقد ضجّت الحيوانات وزمجرت، ووصل الأمر لتحقيق أجراه مكتب التنظيم. وعلى إثر هذا التحقيق تم إلغاء رخصة العمل الخاصة بالسيرك. وهكذا وصل الأمر إلى طلب إعلان الإفلاس. وفي هذه العملية لم يتم تقييم الميراث الثمين للسيرك؛ لا قدرات الفنانين ومهاراتهم ولا فهم مروض الحيوانات وفراسته. وهكذا فتك الفيروس - وإن بتأثير ثانوي - بأحد آخر السيركات القليلة في البلاد. فالفيروس كما ترى مدمر لكل شيء.

شكل 11: فنون الخيل والفرسية كبانوراما للعصور العتيقة.

شكل 12: السيرك إبان الثورة الفرنسية سنة 1793. "تأليه العقل".

عصيان نيكيا

كان فريقا السيرك في بيزنطة - الخضر والزرق - يتقاتلان في الشوارع لمدة أسابيع. وأنداك، في القرن السادس الميلادي، كان سباق العربات هو الحدث الرئيسي في السيرك. وكان القيصر - جستنيان (Justinian) - يجلس متوارياً عن الأنظار خلف الستائر الكتانية لمقصورته، وحوله بعض المسؤولين وخدم البلاط المسئول عن النظام والمحافظة على والهدوء الصمت حول المقصورة. وهو صمت يقابله في المعتاد هدير مدرجات السيرك وصهيل خيوله وضجيج عرباته المرتفع. و فقط عن طريق جوقة الإنشاد يمكن للجماهير - "الشعوب" - إيصال رغباتها أو طلباتها إلى القيصر الذي يستمع إليها، ومن حين إلى آخر يرد عليها بإشارة يدوية أو عبر متحدثه الرسمي. ولذا كان عليه أن يخرج من مقصورته أحياناً.

وهنا لابد وأن نشير إلى أن الكثير من الانتفاضات التي دفعت القياصرة إلى الفرار، ويسرت تنصيب بدلاء لهم، قد بدأت في السيرك.

وفي هذا اليوم اعتقل حاكم المدينة العديد من قادة فريقي السيرك - عدد متساو من الخضر والزرق. وقد تم الحكم على أربعة عشر شخصاً منهم بالإعدام. ولكن أثناء تنفيذ حكم الإعدام تفككت اثنتان من السقالات الخشبية التي يُعدم عليها المدانون. هذا مع أنه من النادر جداً أن تنكسر إحدى هذه المنشآت المتينة عادة. ومن الغريب حقاً أن اثنين من كبار قادة الخضر ومثلهما من كبار قادة الزرق قد نجوا من الموت وإن مؤقتاً.

وهذا يعني أن فريقي السيرك المتعاضدين عادة قد اتحدا معاً، وقد طلبا معاً أيضاً وقف تنفيذ أحكام الإعدام بدعوى أن الله هو الذي قرر هذا. ولكن صمت القيصر ولم يجب. وهذا غير معتاد أيضاً؛ لأنه كان يُجيب دوماً عندما يعبر الفريقان - أي المدرجات بأكملها - عن رغباتهما. ولكن في هذه المرة لم يصدر أي رد فعل من قبل المقصورة. كأن القيصر قد صار دمية لا تتحرك. وكان المسؤولون من حوله قلقين. وفي هذه الأثناء نُقل من تم إنقاذهم من قبل رهبان إلى ملجأ آمن في كنيسة قريبة من السيرك. ولم يكن هذا الملجأ بمنأى عن المساس به إذ لا حصانة له، ولكن إقدام الحامية على اقتحام هذا المكان المقدس سيكون - بالنسبة لفريقي السيرك - بمثابة إشارة لتمرد مفتوح. وكان التوتر كبيراً حتى دون هذا الاقتحام. وأنداك الجموع قد توجهت وهي مسلحة بالعصي والقضبان وألواح الخشب إلى مقر الحاكم وأضربت فيه النيران.

في اليوم التالي دخل القيصر السيرك وكان شيئاً لم يحدث. ومرة أخرى طالب فريقا السيرك بالعفو عن المحكومين بالإعدام. لكن ولمرة أخرى لم تصدر أية إشارة من جهة القيصر. ورغم ذلك كان قد انتشر بين الناس أنه - أي القيصر - يجلب قوات من "أدرينوبل". فماذا يريد أن يفعل بتلك القوات في شوارع العاصمة الضيقة والتي

لا يمكن اختراقها؟ تبعًا لمؤرخ العصور القديمة ميشا ماير (Mischa Meier) ووفقًا للمصادر المتاحة حتى سنة 2003 - بدا تصرف القيصر مثيرًا للسخرية. فهل أراد إثارة انتفاضة حتى يستعرض ما يدل على سطوته من خلال قمعها؟ والحقيقة أن كل تفاصيل المسار الخارجي للأحداث تؤيد هذا التصور وتدلل عليه.

ونشر القيصر قوات قائده بيليساريوس (Belisars) في الشوارع (وقد عانت تلك القوات من خسائر وراكت غضبًا عليها)، ثم أقال الحاكم ورئيس قسم المالية وبعضًا من تابعيه. وأنداك كان القيصر يبدو كما لو كان خائفًا، وانتشرت شائعات بأنه سيغادر العاصمة، سيهرب. وأنداك أيضًا كان جستنيان قد أقنع ابن أخ للقيصر السابق أناستاسيوس (Anastasios) بمغادرة البلاط. ومن المؤكد أن الشعب الذي اتحد سوف يعلن على الفور أن هذا الوريث هو القيصر الجديد. وقد حاول الشاب الرفض والتصل من الأمر؛ فقد كان يخشى التضحية به. وكان مستشاروه يحتجون ويتظاهرون. وقد وعده القيصر بمكافأة إذا ووافق على مسرحية "الإبعاد عن البلاط". وقد حدث ما هو متوقع، وقام الجمهور مدعومًا بنبلاء من الطبقة العليا برفع الشاب "المنتفض" ليكون قيصرًا جديدًا. وأنداك كشف الموظفون - من رؤوس خيانة القيصر - عن أنفسهم.

وفي تلك الأثناء كان الجنرال نارسيس (Narses) قد زرع الشقاق ما بين رؤوس قادة الخضر والزررق وذلك عن طريق الرشاوى ونشر الأخبار والإشاعات. ومثلما يحدث يوميًا اجتمع الفريقان في السيرك. وبالتالي وتبعًا للتجربة يمكن مهاجمتهم هناك، أي في حالة تجمعهم المكثف هذا. ولا أدري لماذا لا يتعلم البشر أنهم سيكونون منيعين في شوارع العاصمة، أما في السيرك فالوضع مختلف؛ حيث سيحاصرون في مكانهم، وسيكونوا كما لو أنهم "في حارة سد".

وهذا ما حدث بالفعل؛ فقوات الجنرالين بيليساريوس ونارسيس احتلتا المخارج. وفي مذبحه واحدة تم إعدام 30 ألفًا من المتمردين (أو بمعنى أدق من جُعلوا متمردين). وعلى الرغم من سعة المدرج الكبيرة، وسعة ساحة الحلبة كذلك، كان القتلى من الكثرة أنهم كانوا يتكومون فوق بعضهم البعض، ولم يكونوا موزعين بانتظام أو بالتساوي على المكان. وقد واجه الحاكم المعين حديثًا مشكلة في تنظيم عملية نقل الجثث في الوقت المناسب لسباقات ما بعد الظهر. لكن يبدو أن عملية النقل، كما قال ميشا ماير استنادًا إلى المؤرخ بروكوب (Prokop)، قد "طالت بشكل غريب" كما لو كان الهدف أن يكون هناك أكبر عدد ممكن من الشهداء على المذبح. وفي الإمبراطورية أصبحت أخبار عصيان نيكا وقمعه من قبل القيصر المنتصر جستنيان....